جُمْهُورِيَّة الْعِرَاقِ

ديوانُ الوقفِ الشِيعي

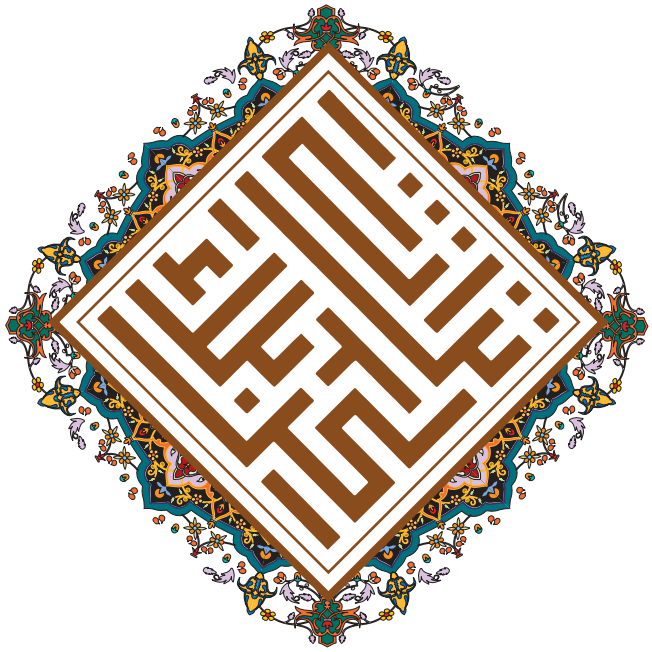

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ

تُعْنى بِالتُراث الكَربَلائي

مُجَازَةٌ مِنْ وزَارَةِ التَّعْلِيمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

تصدر عن:

العتبة العباسيّة المقدّسة

قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة

مركز تراث كربلاء

السنة السابعة/ المجلَّد السابع/ العددان الثالث والرابع (٢٥-٢٦)

شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/ كانون الأول ٢٠٢٠م

التناص الديني
في شعر السيد مرتضى الوهاب
Religious Intertextuality
in Sayyed Murtadha Al-Wahab's Poetry

أ.م.د. محمد حسين علي حسين

جامعة كربلاء/كلية التربية للعلوم الإنسانية/

قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Dr. Muhammad Hussein Ali Hussein,

Dept. of Arabic, College of Education

for Human Sciences, University of Karbala.

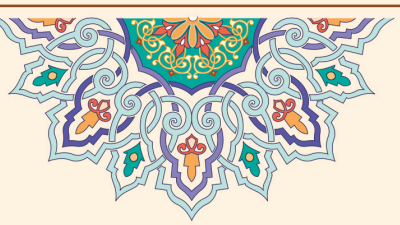

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع(٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

الملخص

ما انفك التنقيب عن الموروث موضع عناية الدارسين في كل مكان؛ لتعريف الأجيال اللاحقة بما تركه أسلافهم وعدّ هذه الحركة متكأ حضاريًّا يمنح المجتمع هويَّته المستقلّة، ويتيح له امكانية تحديد أُطره الفكرية بنتاج التطور المعرفي، ومن ثم يعطيه القدرة على تحديد منظومته الثقافية ذاتيًا، والتحرك ضمن عجلة الزمن بسرعة مضاعفة، فكان ضروريًا الوقوف على ما خلّفه رجالات هذه المدينة المقدسة (كربلاء) من مفكرين وأدباء برحلة بحثية تكشف ما ينطوي عليه نتاجهم من قيم فكرية وجمالية، لذا اهتم البحث في رصد ما أثر عن أحد شعراء كربلاء ومتابعته وهو السيد مرتضى الوهاب لتقديمه من خلال دراسة ديوانه على وفق منهج (التناص الدينيّ).

الكلمات المفتاحية: التناص الديني، مرتضى الوهاب، شعراء كربلاء.

Abstract

Searching in heritage is attentively considered by researchers everywhere for the sake of defining it for the coming generations, shaping a distinct identity for the whole society, modelling social frames of knowledge, and enabling its cultural self-paradigm through flexible time constraints. In these terms, it is necessary to look at the heritage of Karbala'i men of letters and scholars to discover their aesthetic, artistic, and ideological values, as represented in Sayyed Murtadha Al-Wahab's poetry in his divan through ‹religious intertextuality'.

Key Words: Religious Intertextuality, Murtadha Al-Wahab, Karbala'i Poets.

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع(٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

تميزت مدينة كربلاء المقدسة من بين كثير من المدن بثروة تراثية هائلة، ممّا يدعو إلى مضاعفة الاهتمام بها، وللأديب الكربلائي دورٌ متميزٌ عبر العصور المنصرمة، والوقوف على تاريخ المنجز المعرفي والأدبي منه بخاصة أمر لا يدعو إلى الخوف من الوقوع في مزالق الاختلاف في تحديد البداية.

فكربلاء جغرافيًا كانت مسرحًا دمويًّا شهدت أرضُها مصرعَ سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتجلي أظهر مصاديق الصراع بين الحق والباطل، لذا رسم هذا الحدث مسارات متعددة، فكريًا ومعرفيًا فكان ينبوعًا ثرًّا ألهمَ الأدباء في تسجيل الحدث وتوظيفه لنواح حياتية عديدة، واستمرت آثار الحدث الرهيب وتداعياته المختلفة لقرون لاحقة حتى يومنا هذا، وإنَّ السعي لرصد المراحل التاريخية والمعرفية يتطلب فسحة مستقلة ليست من وظيفة البحث. على أنّ العصر الحديث شهد تكثيفًا أدبيًا ينسجم مع مقتضيات المرحلة ولاسيما في القرن العشرين ذي التنوّع في المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي فصار الأديب صورة صادقة يساير أحداث عصره وما حملته من تسارع في التغيّر والتبدّل، ومثالنا من الأدباء الكربلائيين هو السيد مرتضى الوهاب الذي عرف بغزارة ثقافته وعمق أثر بيئته الدينية فيه، فاستحق أن يُدرس شعره على وفق إحدى المناهج الأدبية وهو (التناص الديني)، الذي يحفل ديوانه بكثير منه.

وتطلب أن يسير البحث على وفق خطة اشتملت على مقدمة وتمهيد تناول سطورًا عن حياة الشاعر ونتاجه الأدبي وتعريفًا موجزًا لمفهوم التناص، أعقبه محور الدراسة الذي هو التناص الديني بأشكاله المختلفة، وانتهى بخاتمة أوجزت ما جاء في البحث.

التمهيد

أولًا – حياة الشاعر ومنجزه الأدبي

هو السيد مرتضى ابن السيد محمد ابن السيد حسين الوهاب، يرجع نسبه إلى السادة (آل الوهاب) الذين ينتهي نسبهم إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وقد تولى بعض رجالها سدانة الروضتين الحسينية والعباسية، وزعامة كربلاء المقدسة فيما مضى من الزمن[١].

ولد السيد مرتضى الوهاب في كربلاء المقدسة سنة (١٣٣٦ هـ – ١٩١٦ م)، وترعرع في كنف أبوين كريمين ربيّاه تربية دينية رصينة، بدأت علامات الذكاء وأمارات التفوّق والنبوغ عليه منذ صغر سنه، فأكمل الابتدائية ودخل المتوسطة، ثم ترك الدراسة لظروف خاصة لم تساعده على إكمالها لينخرط بعدها في سلك الوظيفة إلى أن استقر به الحال في وظيفة كتابية في معمل شركة كربلاء للصناعة والتجارة.

أمّا ثقافته فتكوّنت من حفظ القرآن الكريم ومختارات من أشعار العرب أمثال المتنبي والشريف الرضي وغيرهم إلى جانب حفظه لخطب نهج البلاغة، ومطالعته لكتب اللغة والعروض[٢].

كرّس الوهاب حياته لخدمة الشعر، والبحث في اللغة، والأدب، ووظّف شعره للتراث الإسلامي؛ وأغـراض الشعر المختلفة بصور شعرية جديدة، وكانت حياته في حقبة الخمسينيات حتى نهايتها في أوائل السبعينيات مفعمة بالنشاط والمثابرة، ومما عرف عن الشاعر غزارة نتاجه الشعري إلّا أنّ كثيرًا منه قد فقد، ولم يدخر السيد سلمان آل طعمة –كعادته– جهدًا في جمعه من الكتب والمجلات والأصدقاء في ديوان مستقل ومبوّب حسب حروف المعجم، مع

إشارته إلى أنّ ما فاته من شعر الشاعر أكثر ممّا اطلع عليه ووثقه فيه[٣].

أصيب الشاعر مرتضى الوهاب بمرض نقل على أثره إلى المستشفى الحسيني بكربلاء المقدسة، ليتوفى بعدها بأيام قليلة، وذلك سنة ١٩٧٣، وجرى له تشييع مهيب من قبل وجهاء المدينة وأدبائها إلى مثواه الأخير في الروضة العباسية المقدسة.

ثانيًا – مفهوم التناص

يقول الناقد المغربي الدكتور سعيد يقطين: «إذا كان مفهوم النَّص قد اتخذ في القرن العشرين دلالات خاصة واحتل موقعًا متميزًا في مجمل العلوم الأدبية والإنسانية إلى الحد الذي يمكننا معه اعتبار القرن العشرين عصر النَّص بامتياز، فإنّ التنويعات التي تحققت من خلال البحث فيه وخاصة منذ السبعينيات، وتشكل إحدى روافده التي تم الكشف من خلالها عن خصوصياته المتنوّعة، أدت إلى ظهور مفاهيم جديدة تمتح من معينه، وتترك الباب مفتوحًا للامساك بالعديد من سماته وتجلياته في القرن الواحد والعشرين»[٤]

وقد رصد هذا الناقد مراحل تحولات النَّص في العصر الحديث، لينظر كيف تم النّظر إليه منذ الستينيات وما طرأ من تغيير في النظر إليه، فرأى أنّ البنيوية عملت منذ ظهورها على النظر إلى النَّص بوصفه بنية مغلقة، وكان ذلك بهدف إنجاز وصف علميّ له تحت تأثير اللسانيات، وبهذا الطرح تمّ استبعاد كلّ ما هو (خارج نصي) وقد أتاح هذا التحديد معاينة النَّص في ضوء التركيز على بنياته الداخلية التي يتشكل منها وظهر مفهوم الخطاب محملًا بدلالات خاصةً، ليتميز بذلك عن الجملة التي هي أعلى وحدة يهتم بها التحليل اللساني[٥].

ثم يقرر أنَّ مفهوم (التناص) قد ظهر في أواخر الستينيات مع الناقدة الفرنسية (جوليا كرستيفا) ليبيّن أنّ أي نصّ منظور إليه بوصفه بنية مغلقة، ينفتح على غيره من النصوص المعاصرة له أو السابقة عليه، وعُدّ هذا التطوُّر مهمًا في الكشف عن بنية النَّص المعقدة، إذ إنّه في انغلاقه على نفسه، ينفتح على غيره من النصوص موظفًا إيّاها دلالات تنسجم وما يسعى إلى التعبير عنه، وكان من نتائج هذا التطور إبراز خاصية جديدة للنص إذ عُدَّ كل نصٍ متناصًا لأنه يشكل نصًا خاصًا يدخل في علاقات مع نصوص أُخرى[٦].

وقد اصطدمت كرستيفا بجملة من المبادئ التي انتسبت إلى فكرها الفلسفي في بداية خطها (النقدي/الأدبي) فحاولت أن تجد حلًّا لهذا المأزق البنيوي، فعالجت قضية(النص) الذي انطلق منه البنيويون، لتفتح آفاقًا ترفعه به عن البنيويين، فثبَّتت مفهومين خص الأول منهما النَّص ومسّ الآخر انتاجية النص[٧].

(فالنص إذن انتاجية، وهو ما يعني، أنّه ترحال للنصوص وتداخل نصّيّ ففي فضاء نصّ معيَّن تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى).[٨]

وهذا التداخل يتم مع كل حالة إبداع لنص أدبي، فلا وجود للنص البريء، تقول جوليا كرستيفا: «إنّ كلّ نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى».[٩]

ثالثًا: التناص الديني:

لعلَّ الشاعر مرتضى الوهاب لا يختلف عن أولئك الأدباء الذين تميزوا بثقافة عالية، وقد كانت الثقافة الدينية بشتى أشكالها من قرآنية أو نبوية، أو تمثل للتأريخ الديني والرموز والشخصيات، إحدى التقنيات الأسلوبية التي حفل بها شعره كغيره من الشعر الحديث، وحتى القديم مرورًا بكل مراحله

على اختلافها.

وبما أنّ التناص يُعدّ إحدى العلامات والسمات الأساسية للإبداع الأدبي، دالًا على تعالق نصوص عدة، وتفاعلها مع بعضها من أجل تخصيب البنى الدلالية في النصوص الجديدة، وإعادة إبداعها إبداعًا مفتوحًا على آفاق متعددة من التأويل فإنَّ من غير المعيب أن يتأثر الفاضل بالأفضل والحسن بالأحسن، فليس ثمة نصّ بريء وصاف ونقي لم يعتمد منشؤه على غيره[١٠]، ولاسيما إذا كان النصّ الآخر أرقى النصوص وأبلغها وأحلاها، متمثلًا بالمدونة القرآنية أو الحديثية، أو مما قد يفيد منه الشاعر من أحداث تاريخية دينية أو شخصيات، خصوصًا وأنّ أهمية النصوص تأتي من اكتنازها بالتنوع وامتلائها بألفاظ النصوص الأخرى وأصدائها كالقرآن الكريم والحديث الشريف والقصص الدينية والأحداث التاريخية الدينية، مما يذيب جدار الفردية في النَّص والذاتية المنغلقة.[١١]

وعلى الرغم من صعوبة الفصل بين مكونات هذه الثقافة المتناص معها في نصوص الشاعر، إلّا أنّه يمكن إدراج ما استلهمه الشاعر من النصوص المحيلة على الحقل الديني تحت عنوانين هما:

١- التناص القرآني.

٢- التناص مع الحديث النبوي الشريف، والتاريخ الديني (أحداث، شخصيات).

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع (٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

المبحث الأول:

التناص القرآني

تشغل القرآنية حيزًا واضح المعالم في الخطاب الشعري للشاعر مرتضى الوهاب، فالقرآن يعد مصدرًا مليئًا بالدلالات مبطنًا بالرمز والإيحاء والتصريح والتلميح وسرعة التأثير الذي تعكسه آياته في وجدان المتلقي وذاكرته المبنية على التكوين الديني أساسًا، واعتماد الشاعر على الخلفية الثقافية بوصفها خلفية دينية قبل كل شيء.

ويمكن الولوج إلى معرفة سبل تعامل الشاعر مع آلية (القرآنية) عبر نمطين رئيسين تجلّت هذه الآلية عبرهما وهما:

١ - التناص القرآني المباشر:

يمكن لقارئ ديوان الشاعر أن يجد كثيرًا من الأبيات التي يتحقق فيها ذلك النمط، وهي متناثرة في مجموع شعر الشاعر مسبغة عليه ثراء، ومانحة إيّاه القدرة على التواصل مع القيم الكبرى في تراثنا الديني والعقدي، كما أنّها أسهمت في تقوية النَّص دلاليًّا عبر تصوير أفكاره وتجليتها مما زادتها فاعلية في وجدان المتلقي، وسنكتفي بعرض نماذج تعبر عن المجموع.

في هذا النمط يعمد الشاعر إلى استدعاء أو اقتباس[١٢] بعض الآيات على سبيل التنصيص أو عدم التنصيص أحيانًا، وهو نقل الآية القرآنية حرفيًا إلى النَّص، الشعري فيأتي استعمالها في حيز دلالتها وتركيبها القرآني نفسه، ويكون الهدف في الغالب مد المعنى، أو استعمال أبعاد الصورة، أو تدعيم الخطاب الشعري بشاهد قرآني، وحينها يكون أقرب إلى الاستشهاد القرآني وليس

التناص، أو هو نوع من الاقتباس أو التضمين إذ إنّ كليهما يعدان شكلين من أشكال التناص يستخدمان لغرض أداء وظيفة فنية أو فكرية منسجمة مع السياق الشعري، وهذا ما يدعى بالتناص المباشر إذ يقتبس النَّص بلغته التي ورد فيها[١٣]، كأبياته التي ضمنها قصيدته (رزء الدين) رثى فيها العالم السيد محمد طاهر الموسوي البحرانيّ المتوفى سنة ١٣٨٤ هـ، ومخاطبًا فيها الشيخ عبد الزهراء الكعبي[١٤] بأن يصدح على المنابر بوصفه شيخ الوعظ في كربلاء المقدسة، بالدعوة إلى الوئام والوحدة بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم لأنَّ الطائفية هي سلاح المستعمر لتفريقهم والظفر عليهم، مقتبسًا لإبراز هذا المعنى جزءًا من الآية المباركة ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾[١٥] يقول فيها[١٦]: (من الكامل)

قل للفتى (الكعبي) شيخ الوعظ مقتحم المنابر
ادع الأنام إلى الوئام ولا تدع للجمع ثاغر
فاليوم أصبح منبر الإصلاح شاغر
والطائفية لم تزل بضلالها تعمي البصائر
إنّ الرماح إذا اجتمعن فليس يكسرهن كاسر
والذئب لم يصطد سوى حمل عن القطعان نافر
ويسود في تفريقنا مستعمر باغ وكافر
ما بالقلى أوصى الإله ولا الرسول بذاك آمر
بل قال (واعتصموا بحبل الله) و(اجتنبوا الكبائر)

فقد جاءت الآية محتفظة بمعناها الأصلي، وكما في قصيدته (ذكرى المولد النبوي)[١٧]:

يـا رسـول الله قـدس للإخاء نهجك الواضح لا الحقد الدفين
يا رسـول الله حققت السلام بنظام يشجب الحـرب اللعين
يا رسـول الله في (الذكر)أتى (وادخلوا في السلم) طرًّا أجمعين

حيث كان استحضار الشاعر لجزء من الآية المباركة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١٨] قاصدًا المعنى العام فيها، إذ تبيّن (طريق التحفظ على الوحدة الدينية في الجامعة الإنسانية وهو الدخول في السلم والقصر على ما ذكره الله من القول وما أراه من طريق العمل، وإنّه لم تنفصم وحدة الدين، ولا ارتحلت سعادة الدارين، ولا حلت الهلكة دار قوم إلّا بالخروج عن السلم...)[١٩].

وكذلك في قصيدته (وصف رحلة) التي منها قوله[٢٠]:

سـارت بنا في الليل سيارة تمـشي عـلى غـير هـدى قالعة
تجـوب بـغـداد عـلى وسعها تجـري بنا (خـافـضـة رافـعـة)

وبالرغم من أنّ الشاعر يعالج في مقطوعته ذات الستة أبيات وصف رحلة مع عائلته إلى بغداد، زاروا خلالها مدينة بعقوبة أيضًا بسيارة سريعة، فكانت سفرة رائعة كما يصفها، إلّا أنّه يستند في وصفه هذا إلى مخزونات القرآن، كسورة الواقعة التي يستعير منها وصفها للقيامة كيف تخفض أقوامًا وترفع آخرين في قوله ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾[٢١] لتوفير الشكل الملائم للتعبير الفني عن تلك السيارة، بوصف القرآن من المخزونات الخاصة بالثقافة العربية حصرًا ذلك النَّص الأدبي شديد الغنى، ويبقى على الشاعر أن يحدد التقنية أو الكيفية التي يوظفه من خلاله.

٢- التناص القرآني المباشر المُحوّر:

وهنا يسعى الشاعر إلى التعامل بالبنية القرآنية تعاملًا لفظيًا أو دلاليًا أكثر حرية؛ ليحيل النَّص المستقر بناء والمعروف إبداعًا إلى نص قلق البناء يفقد بنياته الأولى وذلك تبعًا لمقدرته الإبداعية[٢٢] على تغيير النَّص القرآني المستضاف ومزجه في خطابه الشعري، وذلك من خلال تحويره لفظًا أو دلالة، حذفًا وتوليدًا، تكثيفًا وتوسيعًا.

ولعلَّ القول بامتصاص الشاعر لآيات القرآن وتشربها ومن ثُمّ إعادة كتابتها[٢٣]، أو تغيير وتبديل بعض مفرداتها، بوصفه شكلًا أعلى وأكثر قدرة على خلق شعرية في النَّص الجديد من سابقتها، هو الأقرب للصواب من التحوير-الذي يُعد أعلى مرحلة من مراحل التناص، يتجلّى في نوع ثالث من التقنيات-حيث يتعامل الشاعر مع القرآنية تعاملًا حركيًا لا ينفي الأصل، بل يسهم في استمراره جوهرًا قابلًا للتجديد[٢٤]، يعيد الشاعر صياغته على وفق متطلبات تجربته الشعورية فكريًا وتاريخيًا وجماليًا كما في اعتماده على الآية المباركة ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلا كَرِيمًا﴾[٢٥] في القصيدة السابقة في الرثاء[٢٦]:

بـل قـال (واعـتـصـمـوا بحبـ ـل الله) و(اجتنبوا الكبائر)

إلّا أنّه لم يقتبس من الآية سوى مفردتَي (اجتنبوا والكبائر) لتدعما خطابه الديني السياسي، فهو لم يعلن بتحذيره من الفتنة الطائفية والدعوة إلى الوحدة موقفًا سياسيًا يؤدي إلى القوة وتوحيد الصف لإفشال مخططات المستعمر الأجنبي فحسب، بل قصد أيضًا تذكير المسلمين بأنَّ التمسك بأوامر الله وتجنب معاصيه بارتكاب الفتن وإشاعة الكراهية والتناحر إنّما هي من

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع(٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

أساسيات الدين، الموجبة تكفير السيئات والظفر برضا الله والجنة.

فهي إذًا ليست عملية اقتباس لنص قرآني أو مفردات منه، بقدر ماهي عملية تفجير لطاقات كامنة فيه يستكشفها الشاعر حسب موقفه الشعري الراهن.

وبالتقنية التناصية نفسها يضمن الشاعر افتتاح قصيدته ذاتها في رثاء ذلك السيد الخطيب قائلا[٢٧]:

مازلت دامي الطرف ساهر ... تشكو الزمان وأنت حائر
فكأنما دارت عليـ ... ـك اليوم عادية الدوائر
هذا الزمان ولم يزل ... أبدًا على العظماء جائر
(في الغابرين الأولين ... من القرون لنا بصائر)

فقد نهل الشاعر في بيته المتقدم هذا من النَّص القرآني في سورة القصص ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٢٨] عامدًا فيه إلى إيراده في سياقه الدلالي، محدثًا تغييرًا تركيبيًّا عن طريق زيادة عدد بنياته هذه المرة، وتحويلها بالشكل الذي يزيد من تأثيره النفسي، ويسهم بفاعلية أكبر في توصيل الرسالة الشعرية التي يبغيها، ففي ضوء ذلك تبدو روح النَّص القرآني المتصل بالصور القرآنية واضحة الحضور في السياق الشعري الجديد.

وهذا ما نجده أيضًا في سرده لسيرة وخصال الإمام علي عليه السلام في قصيدة له ذاكرًا المواقف البطولية له عليه السلام في نصرة الإسلام كما في أحد والخندق وخيبر قائلًا في أحد أبياتها[٢٩]:

ويوم زاغت فيه أبصارُهم ... وأحمد يدعوهم للعلى

فالشطر الأوّل من هذا البيت مرجعه القول المبارك ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ...﴾[٣٠] يوم جندل إمامُ المتقين بطلَهم مرحبًا، وهو بهذا الأسلوب الشعري المخصب ببعض الآيات القرآنية سواء باستدعائها بناء ودلالة، أو بتحويرهما قليلًا، يبدو مستثمرًا ومقتبسًا بارعًا لألفاظ التنزيل العزيز ومفرداته، ولعلها هذه الصيغة من التفاعل تعد الأكثر شيوعًا في نصوصه معبرًا بها عن شتى أغراضه وتجاربه الشعرية.

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع(٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

المبحث الثاني:

التناص مع الحديث النبوي، والتاريخ الديني (الأحداث والشخصيات)

أفاد السيد مرتضى الوهاب من التاريخ أحداثًا وشخصيّاتٍ مستثمرًا ما فيه من قيم ومعطيات إنسانية وروحية أثرت تجربته وساعدته في نقلها إلى المتلقّي في موقف الاستجابة للوضع الحضاري الجديد حينذاك، وجعلت مضمونها دالًّا.

ومن خلال قراءة نصوص الشاعر-المستندة إلى الحدث التاريخي والشخصية الدينية - بوصفها هياكل أدبية جمالية ومعرفية، تبين أنّها تسلط الضوء على تاريخ أهل البيت عليهم السلام، وتؤكد أهمية تلك الثقافة في ذاكرته الإبداعية.

فالشاعر ومن خلال تمثّله واستذكاره لمجموعة من الرموز والأحداث التاريخية الدينية بوصفها حلقة من حلقات التأثر والتأثير (التناص) ينجح في تنويع منابع شعره وإغناء آفاق نصوصه المنتجة، أمّا على الصعيد الفني فقد تميز بعض هذا الشعر بالمنبرية والمباشرة التي ربما استدعتها طبيعة الموضوعات المطروحة ولاسيما أنّها خرجت من رحم (المناسبة)، أما الغاية الدلائلية الأهم التي سعى إلى تجسيدها من خلال هذا النوع من التوظيف فيتوجه إجمالًا إلى:

١- إظهار الحب والولاء العميق للنبي المصطفى صلى الله عليه وآله ولأهل بيته الكرام عليهم السلام، وهي الهوية العقائدية التي يحملها الشاعر.

٢- تأكيد مظلوميتهم تعبيرًا عن رفض الظلم والظالمين.

إنّ قصائد الوهاب في النبي وأهل بيته عليهم السلام، تمثل غزارة توظيف الحدث التاريخي فيها ظاهرة بـارزة، هذه الأحـداث التي تستدعي بطبيعة الحال

استحضار المدونة الحديثية كواحدة من التقنيات الأسلوبية التي حفل بها شعره، حيث رصد البحث كثيرًا من آثار توظيف السنة المطهرة دلاليًّا وبنائيًّا في إطار تفاعله مع الأحداث التاريخية الدينية، التي من الصعب بمكان الفصل بين موضوعاتها إذ يتداخل تفاعل الشاعر فيها بين كل تلك المراجع والمدونات، ولعل السبب الذي جعله يعود إلى هذا المصدر بهذه السعة والانتشار هو عمق الثقافة العقديّة المترسخة في داخله بوصفه أحد أبناء هذه المدينة العريقة في قداستها، وإدراك أهمية الانفتاح على القارئ من خلاله، وإيمانه المطلق بضرورة تسليط الضوء على الفئات المظلومة عبر التاريخ، ولعل أئمة أهل البيت عليهم السلام من أشهرها في سياق التاريخ الديني (العربي والإسلامي) وربما من أوضح الأمثلة على ذلك التوظيف، ما قاله الشاعر متممًا البيت السابق:

ويـوم زاغـت فيه أبصارهم ... وأحمـــد يـدعـوهـم لـلـعلى
فـاختـبـأوا ونـــال تخليدها ... بـضربـة تـعـدل تـقـوى الملا
انهـــزم الـــشرك عـلى إثـرهـا ... حيث لعمرو في الوغى جدلا

فبالبيت الثاني يلاحظ فيه تفاعل الشاعر مع الحديث النبوي الشريف (ضربة علي يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين)[٣١]، وقوله صلى الله عليه وآله: (برز الإيمان كله إلى الشرك كله)[٣٢]، وبما تملكه هذه الظاهرة، ظاهرة توظيف الحديث النبوي من مصداقية وحظوة في توسيع فضاءات المعنى في النَّص الشعري، فإنّ اعتماد الشاعر على الحديث يُعدّ مصدرًا ثرًّا من المصادر التي يقتبس منها ويستلهمها سواء أعلى مستوى الدلالة والرؤية أم على مستوى التشكيل والصياغة.

كما نقرأ في قصيدة (أبو الأعياد) وهو عيد الغدير الذي يوليه الشيعة الإمامية أكبر الاعتناء استنادًا لما حدث في ذلك اليوم من أحداث مهمة أبرزها

إكمال الدين وإتمام النعمة وذلك بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، على الرغم من تواتره عند جميع المسلمين. يقول فيها[٣٣]:

هـبَّ نسيم العيد مذ هلّلا ... بالطيب يحكي الندّ والمندلا[٣٤]
هذا أبو الأعياد يزهو فقم ... نهنه عن الروح بروح الطلا
واستمر من شاطي (غدير) الحياة ... ورد الهنا أعذب به منهلا

ثم يعمد الشاعر بعد مقدمة طويلة يستبشر فيها بقدوم عيد الغدير وهبوب النسيم، يبدأ الشاعر بعرض الحادثة التاريخية متسلسلة بشكل تفصيلي، كما في قوله:

وماش ركبا جدّ من يثرب ... يمّم شطر البيت عبر الفلا
وكان في عاشر حول من الـ ... هجرة يوم حجّ فيه خلا

إلى أن يصل الشاعر إلى قوله:

عاد بهم من بعد إنهائه ... مناسك الحج وقد أكملا
فأدركوا الجحفة ظهرًا وقد ... كانت لجمع طرقهم مفْصَلا
وفي (غدير خم) روح الأمين ... لآية التبليغ-أمرًا-تلا

.....

ألست-أولى بكم-قال-من ... أنفسكم بالأمر قالوا بلى
قال لهم من كنت مولى له ... حقًا فمولاه علي العلى
ثم دعا اللهمّ والِ الذي ... والى عليًّا واخذلن من قلى

فلو رجعنا إلى هذا المقطع-المثال-نجده قد تضمّن أحداثًا تاريخية عدة؛ هي من مختصات الإمام علي عليه السلام، وتبرز ظاهرة تحشيد الأحداث التاريخية المتضمنة للأحاديث النبوية والروايات بشكل واضح، ففي هذا المثال يستدعي الشاعر

تفاصيل واقعة الغدير معتمدًا فيها على ما ذكرته كتب الحديث والتاريخ في استذكارها لهذا الحدث العظيم طافحًا بالحب والعشق لصاحب هذه السيرة والتاريخ، فيستحضر أجزاء من خطبة النبي الأكرم في يوم الغدير بحق الإمام علي(عليه السلام)، ومنها قوله(صلى الله عليه وآله) في مستهلها: (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا بلى يا رسول الله، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه)[٣٥] بعد أن رجع رسول الله(صلى الله عليه وآله) من حجة الوداع، ونزل عليه جبريل(عليه السلام) فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ* وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ* وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ* إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٣٦]، ثم يستمر في سرد تاريخ الحادثة وما أعقبها بشكل مفصل لعل أبرز ما في هذا التاريخ هو خيانة الأمة لنبيها(صلى الله عليه وآله) بعده وتبديل الكلم عن مواضعه، قال[٣٧]:

مكرمة خصّ عليًّا بها ... أنطقها نبيه المرسلا
فأنزلوها قصد أهوائهم ... قد خان من دسّى ومن أوّلا
فسجّل التاريخ أحقادهم ... حسبهم التاريخ ما سجّلا
وقلدوا صاحبهم منصبا ... ضاق به وأخروا النوفلا

.....

وأظهر التحقيق ما أضمروا ... من عصبة من (يوم قالوا بلى)

إنّ أهمية التناصّ تتجاوزه إلى طبيعة العوامل المؤثرة في فكر الشاعر وبيئته، ومن ثم أثر هذه العوامل في طريقة التفكير، أي أنّنا من خلال التناص وقراءته قراءة واعية نتمكن من الإفادة منه في رسم خارطة المكان والزمان على وفق معيار اجتماعي ديني أو سياسي. وحسب القارئ أن يتأمل هذه الأبيات من قصيدة (ريحانة المصطفى(صلى الله عليه وآله) وسلم) في ذكرى مولد الإمام الحسن(عليه السلام)، فبعد أبيات طويلة تصل إلى قرابة (٢٣) بيتًا يستبشر بها الشاعر

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع (٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

مهللًا فرحًا بهذه الذكرى المباركة، يستلهم مما وصف العلماءُ الإمامَ عليه السلام بقولهم (إنّ الحسن عليه السلام سبط النبي صلى الله عليه وآله ومفخرة الدهر وقد ورث من جده السؤدد)[٣٨] والمعارك التي خاضها مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ضد المارقين والقاسطين والخوارج فيقول مثلا[٣٩]:

سبط طه الحسن الزاكي ... وعنوان الكرامة
خُصّ بالسؤدد من ... أحمد إرثًا وإمامة
والسخا والبأس من ... حيدر إذ قام مقامه
جود أهل البيت فيه ... ولدى الحرب أسامة
كان للراية في ... صفّين أسًا ودعامة
في قتالٍ شابَ منـ ... ـه الرأس إذ خاض قتامه
وبيوم الجمل الفتـ ... ـح به نال تمامه

الى آخر القصيدة المشحونة بالأحداث والصفات، التي يرى الشاعر-كأي أديب ملتزم - أنّ استذكار تلك السيرة وذلك التاريخ وبثّه والتركيز عليه والثبات هو جزء من واجب حفظ العقيدة وبرهان على حجّة وسلامة المحتوى العقائدي الذي يدين به.

الخاتمة

لقد تم في مقاربة هذا النوع من الإجراء لموضوع التناص – على أساس أنّه ليس مفهومًا ونظريةً فحسب، بل هو ممارسة نصية تطبيقية – اختيار متن جديد حافل بأشكال تناصية متنوعة لاختبار المفاهيم النظرية المنهاجية، فمن يقرأ نصَّ الشاعر مرتضى الوهاب يدرك الغنى التناصي في شعره المتناسب مع ظروف المرحلة وإمكانات الشاعر الإبداعيَّة الخاصَّة، الذي يستحق تأسيسًا على ذلك التوقف عنده بالبحث والدراسة.

ويأتي اهتمام الباحث أصلًا بهذا المتن من أنه يمثِّل شاعرًا كربلائيًا لم يأخذ حظَّه من الاهتمام والدرس، ما يشكل انفتاحًا على التراث الكربلائي وإلقاء الضوء عليه.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذا البحث توقف على نوع واحد من أنواع التناص في شعر الشاعر، وهو التناص الديني الذي أثبت الباحث من خلاله أنه يتركز على نوعين منه:

الأوّل: القرآنية المتجسّدة عبر نمطين فقط هما: المباشرة غير المحورة، والمباشرة المحورة، فيما لم نجد للنمط الثالث وهو القرآنية غير المباشرة المحورة مثالًا واضحًا في شعر الشاعر، التي تتطلب إبداعًا فنيًّا عاليًا لم يتحلَّ به.

والثاني: التناص مع التاريخ الديني أحداثًا وشخصيات المتضمن بالضرورة استحضارًا واضحًا للحديث النبوي الشريف، الذي في معظمه جاء مركزًا على تاريخ أهل البيت خاصة، فكان امتزاج النَّص الدينيّ بالعمل الأدبيّ له، يحيل على الأُطر الثقافية التي شكَّلت شخصية الشاعر والمناهل التي استقى منها مادته.

الهوامش

١. ينظر: الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء، السيد صادق آل طعمة: ٤٧ وما بعدها.

٢. ينظر: م.ن: ٦٠ وما بعدها.

٣. مقدمة ديوان السيد مرتضى الوهاب: ٧-٨.

٤. النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية (نحو كتابة عربية رقمية)، سعيد يقطين، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ٢٠٠٨: ٢١.

٥. ينظر: النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية: ٥٧.

٦. ينظر: م.ن: ٥٨

٧. ينظر: تأصيل النص-قراءة في أيدلوجيا التناص، د. مشتاق معن، ط١، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء - الجمهورية اليمنية، ٢٠٠٣م: ٧٥-٧٦

٨. علم النص، جوليا كرستيفا، تر.فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، ط٢، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٧م: ٢١

٩. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية -قراءة نقدية لنموذج معاصر، د. عبد الله الغذامي، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م: ٣٢٦.

١٠. التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث، د. موسى ربايعة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، اربد، ط١، ٢٠٠٠م.

١١. ينظر: منظور(التناص)وحوارية الإقصاء الفني للهيمنة، مديح الشاعر السعودي (طاهر زمخشري) نموذجًا، صالح زياد، أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، م «١٩»، ع«١» ٢٠٠١م: ٩٠.

١٢. الاقتباس: هو «أن يضمن الكلام شيئًا من القرآن أو الحديث لا على أنّه منه» الإيضاح في علوم البلاغة ١/ ٣٨١، أما التضمين: (فهو إن يضمن الشاعر شيئًا من شعر الغير مع التنبيه عليه إذ لم يكن مشهورًا عند البلغاء. وبعض البلاغيين يدخلون الاقتباس في التضمين، ويسمّون كل آخذ-سواء أكان من القرآن أم

الحديث أم الشعر أم الكلام السائر-تضمينًا. ينظر: معجم المصلحات البلاغية وتطورها١/ ٢٧٠، ٢/ ٢٦٠.

١٣. التناص نظريًا وتطبيقيًا، أحمد الزعبي: ١٦

١٤. هو المرحوم الخطيب الشيخ عبد الزهراء الكعبي المتوفى سنة١٣٩٤ في كربلاء، من مشاهير الخطباء المبرّزين في العراق. ينظر: خطباء المنبر الحسيني. حيدر المرجاني، مطبعة القضاء – النجف الأشرف، ١٩٧٦-١٩٧٧: ٢/ ١٨٨.

١٥. سورة آل عمران: ١٠٣

١٦. ديوان السيد مرتضى الوهاب: ٦٥

١٧. المصدر نفسه: ١١٠

١٨. سورة البقرة: ٢٠٨

١٩. الميزان في تفسير القرآن: ٢/ ١٠١.

٢٠. ديوان السيد مرتضى الوهاب: ٧١

٢١. سورة الواقعة: ٣

٢٢. ينظر: تأصيل النص: ١٨٣

٢٣. ينظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: ٢٦٧

٢٤. ينظر: م.ن: ٢٥٣

٢٥. سورة النساء: ٣١

٢٦. ديوان السيد مرتضى الوهاب: ٦٥

٢٧. المصدر نفسه: ٦٣

٢٨. سورة القصص: ٤٣

٢٩. ديوان السيد مرتضى الوهاب: ٨٥

٣٠. سورة الأحزاب: ١٠

٣١. عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، الجزء الخاص بأمير المؤمنين عليه السلام: ١٨.

٣٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٦١.

٣٣. ديوان السيد مرتضى الوهاب: ٨٠-٨٣.

٣٤. النـدّ: نوع من الطيب يخلط فيه المسـك مع الكافور، ينظـر: معجم لغة الفقهاء: ١/ ٤٧٧. المندل: العود الطيب الرائحة، ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٦٣.

٣٥. مسند أحمد بن حنبل، رقم الحديث: ٩١٥.

٣٦. سورة المائدة: ٦٧.

٣٧. ديوان السيد مرتضى الوهاب: ٨٤.

٣٨. ينظر موقع الشيخ محمد السند (موضوع الإمامة):
www.m-sAnAd.com/Ar/Archives/1451.

٣٩. ديوان السيد مرتضى الوهاب: ٩٨.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتب:

١. الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني، دار إحياء العلوم – بيروت، ط٤، ١٩٩٨م.

٢. تأصيل النص–قراءة في أيدلوجيا التناص، د. مشتاق معن عباس، ط١، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء–الجمهورية اليمنية، ٢٠٠٣م.

٣. التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث، د. موسى ربابعة، مؤسّسة حمادة للدراسات الجامعية، إربد، ط١، ٢٠٠٠م.

٤. التناص نظريًّا وتطبيقيًّا، أحمد الزعبي، مكتبة الكتاني، ط١، اربد – الأردن ١٩٩٥م.

٥. الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء، السيد صادق آل طعمة، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ط٢، ١٤٣٥ – ٢٠١٤م.

٦. خطباء المنبر الحسيني، حيدر المرجاني، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٧. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية–قراءة نقدية لنموذج معاصر، د. عبد الله محمد الغذامي، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٨. ديوان السيد مرتضى الوهاب، جمع وتحقيق سلمان هادي آل طعمة، انتشارات المكتبة الحيدرية، ط١، ١٤٢٢.

٩. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي – قم، ط: ١، ١٤٠٤هـ.

١٠. ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية، محمد بنيس، دار التنوير للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٥م.

١١. علم النص، جوليا كرستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، ط٢، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.

١٢. عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، بحراني أصفهاني، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه إيران، قم، ط: ٢، ١٣٨٢ ش.

١٣. مسند الإمام احمد بن حنبل، شرح أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

١٤. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

١٥. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٦م.

١٦. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، د.ط، د.ت.

١٧. النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية (نحو كتابة عربية رقمية)،

سعيد يقطين، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب ٢٠٠٨م.

المجلات:

١. التناص وإشاريات العمل الأدبي، د. صبري حافظ، مجلة البلاغة المقارنة ع (٤) ص (٢٧)، ١٩٨٤م.

٢. منظور(التناص)وحوارية الاقصاء الفني للهيمنة، مديح الشاعر السعودي طاهر زمخشري نموذجًا، صالح زياد، أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، م(١٩)، ع(١)، ٢٠٠١م.

المواقع الألكترونية:

1. www.m-sAnAd.com/Ar/Archives/1685